التربية الإسلامية

(خصائص وأساليب)

دليل المتدرب

فهرس

المحتوى	الصفحة
الإسلام.. أجيال من رجال	
نعود إليها أم تعود إلينا؟!	
أليست تربيتنا دائمًا إسلامية؟	
خصائص التربية الإسلامية	
التربية الإسلامية إيمانية	
التربية الإسلامية رحيمة	
التربية الإسلامية دنيوية أخروية	
التربية الإسلامية توكُّلية لا تواكلية	
التربية الإسلامية مطمئنة	
التربية الإسلامية مبادِرة	
التربية الإسلامية واقعية	
التربية الإسلامية منفتحة	
أساليب التربية الإسلامية:	
التربية بالوعظ المباشر	
التربية بالقصة	
التربية بالقُدوة	
التربية بالتقعيد	
التربية بالحوار	
التربية بالثواب والعقاب	
أثر الثواب والعقاب على التربية الإسلامية	
وداعًا يا مشكلات!	

الإسلام. . أجيال من رجال!

يشهد كل مُنصِف أن الإسلام دين السلام، ودين الجمال، ودين النجاح، ودين القوة، ودين العِلم، .. دين الدنيا، ودين الآخرة! والتربية على الإسلام- بالتبعية- لا بد أن تكون صناعةً للناجحين والمُبدعين والنابهين والطيبين والعلماء والأقوياء .

أليست التربية الإسلامية هي التي نقلت العرب- كما يُقال- من أُمّة تَرعى الغَنَم إلى أُمَّة ترعى الأُمَم؟!

أليست هي التي رفعت رأس الإنسان العربي من تحت أقدام صَنَم، إلى العبودية الخالصة لله مُولِي النِّعَم؟!

أليست التربية الإسلامية هي التي صنعتْ أبطالاً وبطلاتٍ كـ (أبي بكر الصديق)، و(خديجة بنت خويلد)، و(عمر بن الخطاب)، و(عائشة بنت أبي بكر)، و(علي بن أبي طالب)، و(فاطمة بنت محمد)، و(عثمان بن عفان)، و(سمية بنت خياط)، و(خالد بن الوليد)، و(أسماء بنت أبي بكر)، و(عمرو بن العاص)، و(الخنساء تماضر بنت عمرو)، و(سعد بن معاذ)، ... وجيل الصحابة ﷺ كله!

ومِن العجَب أن يجتمع هذا العدد العظيم من النابغين في جيل واحد، كل منهم ليس إنسانًا عادِيًّا! إلا أن تكون التربية التي تلقَّوها فيها سرّ!!

ولم تتوقَّف أمطار النبوغ عند جيل الصحابة، بل توالت من بعدهم أجيال التابعين، وتابعي التابعين، ومن بَعدهم من أعلام الحضارة الإسلامية... وفيهم (الحسن البصري)، و(حفصة بنت سيرين)، و(مالك بن أنس)، و(أبو حنيفة النعمان)، و(عمرة بنت عبد الرحمن)، و(الليث بن سعد)، و(الحسن بن الهيثم)، و(هُجَيمة الأوصابية)، و(الشافعي)، و(عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص)، و(الخوارزمي)، و(ابن حزم)، و(أحمد بن حنبل)، و(ابن خلدون)، ... وغيرهم ممَّن كانوا وما زالوا منارات مضيئة تتحدَّى الظُّلم والظُّلُمات، رحمهم الله جميعًا!

وإذا حاولنا حصر أسماء العُلماء المخترعين، والأدباء البارعين، في عصور الخلافة الإسلامية لعجزنا، ويُدهشنا ذلك الأمر؛ إذ أننا نعلم أن تعداد سكان الولايات الإسلامية إذ ذاك أقلّ من تعداد دولة إسلامية واحدة كائنة في عصرنا الحاضر!

ولم يقتصر إحسان تلك الأجيال العظيمة على التفوق في العِلم والأدب، وعلى اختراع الآلات، ونَظم الأبيات،... بل إذا نظرنا داخل بيوتهم وجدنا الرحمة والحب والسكينة واللِّين والرأفة تحوط بيوتهم وتنشر أشعة الدفء والارتياح فيها... فهذا (محمد بن المُنكَدِر)- رحمه الله - يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه تواضُعًا ومحبةً: "ضعي قدمك على خدي" يقولها سعيدًا راضيًا.

وكان (محمد بن سيرين) - رحمه الله - إذا رأوه عند أمه ظنوه به مرض؛ من انخفاض صوته في كلامه معها، أدبًا وحياءً منها.

وكان (علي بن الحسن) - رحمه الله - لايأكل مع والديه، فسُئِلَ عن السبب، فقال: لأنه ربما يكون بين يديَّ لُقمة أطيب مما يكون بين أيديهما، فإذا أكلتُها أكون مُقصِّرًا في حقِّهما.

وكان (حجر بن عدي) - رحمه الله - يلمس فراش أمه بيده، ليختبر أنه ناعم، ثم يشُكّ في يده الغليظة، فيتقلب على الفراش على ظهره، فإذا وجد الفراش آمنًا مُريحًا دعا أمه لتنام عليه.

وكان مقياس العقوق عندهم لا بالكلام بل بالنظر، يقول (عروة بن الزبير) ﷺ: "ما بَرَّ والدَيه مَن نَظَرَ إليهما نظرةً حادّةً".

ولم يكُن ذلك الإحسان مكافأة للأم على صبرها وإحسانها، بل حتى إن كانت شديدة قاسية لم ينقص ذلك من بر ولدِها بها شيئًا.. كانت أم (منصور بن المُعتمر) - رحمه الله - فظَّة غليظة، وكانت تلومه بشدَّة على رفضه لمنصب القضاء، و(منصور) يستمع إليها خافضًا رأسه، ولحيته على صدره، يستحيي أن يرفع نظره إليها...[1]

وإنْ لم تكن الصورة في بيوت المسلمين عكس ذلك في عصرنا الحالي، فلا يمكننا القول إنها كذلك. إذن فأين العُلماء المُبدعون؟ أين المخترعون المُثابرون؟ أين الأدباء المُصلحون؟ أين الفنّانون الراقون؟.. هم- ولا شك- موجودون، لكنَّهم قليلون. هم قليلو العدد قليلو الإنتاج!

وإذ كان الإنسان ثمرةَ تربية، وصناعةَ أسرة ومجتمع، فلنتفق إذن أنَّ تربية أسلافنا تفوَّقت على تربيتنا، وأنتجت إنسانًا أعلى كفاءةً من إنساننا. تربيتهم تفوَّقت حتَّى على تربية الإنسان الغربي "المُتقدِّم" الآن، إنسان "العالَم الأول"- كما يُسمُّونه، فإنسان أسلافنا استطاع الجمع بين العِلم والدين، وحملَ الدنيا في يده والآخرة في قلبه، أمّا إنسان "العالم الأوَّل" الآن فقد تنازل عن الدين ليتفرَّغ للعِلم، وألقى عن كاهله ثِقَل الآخرة ليحمل الدنيا خفيفة هشَّة.

تربية أسلافنا لم تُنتِج ذلك العدد من المُنحرِفين، ولا العابثين اللاهين، الذي أنتجتْهُ مجتمعات يُقال عنها "مُتقدِّمة"... إن تربية أسلافنا أنتجت (صلاح الدين)!

(صلاح الدين) وغيره من القادة- هذه الشخصيات المسلمة العظيمة المدهشة- يجعلوننا نتشوَّق إلى أن ندخل بيوتهم، ونرى أماكنهم، ونسمع كلامهم!! ماذا تقول الأمّ لابنها؟ وكيف تُرَبِّي ابنتها؟ مِمَّ يُحذِّر الوالد ولده؟ وكيف يصون بنته؟ ماذا يُلقِّن المعلم طلابه وطالباته؟... نتشوَّق إلى أن نعود إلى بيوت التربية الإسلامية؛ لنراها من قُرب، ولِنَحكُم على أنفسنا بصدق- نحن المسلمين الآن- إلى أي مدى ابتعدنا عنها.. أو اقتربنا منها!

ولكنَّني- في الحقيقة- أحيانًا أفكِّر..

لماذا نعود لننظر إلى الخَلف، والعالَم مندفعٌ منطلقٌ إلى الأمام؟!!

---

[1] منصور بن محمد الشريدة؛ بر الوالدين عند السلف الصالح؛ منوعات؛ موقع صَيد الفوائد، www.saaid.net

نعود إليها، أم تعود إلينا؟

ما إن تظهر شعارات كـ(العودة إلى الإسلام)، أو (العودة إلى الكتاب والسُّنّة)، أو (العودة إلى الخِلافة)، أو (العودة إلى منهج السَّلَف)، وما إلى ذلك... حتى تنطلق شعارات مُضادّة، شعارات تتهمها بالرجعية والانعزالية والتخلف... اتهامات لا يُقصَد بها الهجوم على الإسلام دينًا، ولكن يُقصَد بها الهجوم على أولئك الذين رفعوا الشعارات، على أولئك الذين يعشقون (العَودة).وكلا الجانبين لديه نصف الحق..

فالجانب الأول، الداعي إلى العَودة، له حق في الدفاع عن العقيدة، العقيدة التي تحتوي جميع مُقوِّمات السعادة والقوة والنجاح، في الدنيا والآخرة، العقيدة التي لم تنافسها عقيدة، ولن!

والجانب الآخر، الرافض للعَودة، له حق في رفض الخروج من سياق الزمن، للرجوع إلى زمن ليس بزماننا، والانفصال عن عالَم حاضرٍ يعرِفُنا، إلى عالَم ماضٍ لم يعرف منّا أحدًا!

إذن، فلنستَفِدْ من الرأيين معًا؛ فلنتمسَّك بالعقيدة، ولنرفض الرجوع، .. فلنرفض أن نعود نحن إليها، ولنفتح لها الأبواب لتعود هي إلينا.. نعم! إن قولنا (عودة دين الإسلام) إلينا- شرعًا وفِكرًا وتربيةً ومنهج حياة- أدقّ من قولنا (عودتنا إليه)؛ لأننا إذا قلنا "عودتنا إليه" جعلناه شيئًا من الماضي، جزءًا من التاريخ، قصة وانتهتْ، جماعة وانقرضَتْ، نعود إليه لنُحييَه بعد مَوَات! وهذا ليس بحقّ.

إن دين الإسلام الذي يدعون إلى العودة إليه ليس عقيدة النبي (محمد) ﷺ فحسْب، بل هو عقيدة النبي (آدم) عليه السلام والأنبياء من بعده، والناس إلى يوم القيامة! يقول الله ﷻ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ويقول رسول الله ﷺ: ".. وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ." حديث صحيح

وبما أن الدين واحد، والعقيدة واحدة، فيما مضى، وما هو حاضر، وما هو آت، فلفظة (العودة) غير دقيقة؛ إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون التزام العقيدة عودةً إلى الماضي!

وقد يقول قائل، نعم ولكنَّ تعبيركم (عودة دين الإسلام) إلينا ليس تعبيرًا دقيقًا كذلك! هل ترونه قد غاب ليعود؟!

للجواب نتذكّر قصة جميلة، وهي ((أن أسرة سعيدة، فيها أبوان، وابن وابنة، الأم حانية راعية رحيمة سَمحة، والأب عاقل حكيم قويّ نشيط. تربَّى الابنان أحسن تربية، وتلقَّيا من الأبوين الرعاية كلها، فلمّا بلغَا سن الشباب ، سمعا عن أرض جديدة واسعة، يتهافت إليها الناس ليُعمِّروها، فانطلقا إليها؛ ليضمنا لنفسيهما نصيبًا من الأرض قبل أن يضع الناس أيديهم عليها كلها. عمِل الفتى وأخته وبذلا جهدًا مُضنيًا في تعمير قطعة أرض لهما، وشقَّا لنفسيهما طريقًا جديدة، وحياة طارئة، وكانت وصايا الأبوَين محفورة في قلوبهما!

مرَّت عشر سنوات، والابنة وأخوها في تلك الحياة الجديدة، وقد بنيا بيوتًا، وأنشآ مبانيَ، وزرعا أراضيَ، وتزوَّج كل منهما فأنجب أولادًا، وأدخلهم مدارس، وكوَّنا علاقاتٍ متشابكة،... فصارت أرضهم مدينةً مكتملة!

وفي يوم قابلت الأخت أخاها فقالت: تعلم يا أخي، رغم كل ما أنجزنا، فإنني لا أشعر السعادة! إننا بنينا وعمَّرنا وأصلحنا.. لكننا لا نزال غُرباء! إننا نخدع أنفسنا! نُوهمها بأننا في وطننا، وهذا ليس بِوَطن، إنَّ وطني هو مَا فيه أبي وأُمِّي. جِدًّا أفكِّر في أن أعود!

قال الأخ: تعودين؟! كيف نعود ونترك أشغالنا وأولادنا ومصالحنا؟! إن كنتِ لا تحسِّين السعادة، فأنا مثلك، مللتُ الغُربة، وافتقدتُ والِديَّ.. تمر بي أيامُ محنة فأفتقد حنان أمي ومواساتها، ويتشوَّق ظهري المُثقَل بالأعباء إلى يديها التي كانت تربت عليه، .. وأفتقد حِكمة أبي وخبرته، التي كانت تذوب فيها أصلب المِحَن وأصعبها، كما يذوب الملح في الماء!

الأخت: عندك الحق، إنَّنا فقدنا الحنان والأمان منذ افتقدنا والدَينا، لقد أرسلا إلينا العديد من الرسائل، قرأناها ولم يكن لدينا الوقت للإجابة! تحجَّجنا بالمشاغل، إلى أن استعبدَتْنا مشاغلنا، فكرِهناها وتمنَّينا الفرار منها، واليوم نحن لا نستطيع! أَتذكرُ إذْ كُنّا نعيش في قريتنا؟ كيف كنا سُعداء آمنين.. كيف كنا نعمل بروح حيَّة.. ونفس طموحة.. أتذكر كيف كنا نملك الدنيا.. أمّا الآن فقد ملكتْنا الدنيا ونحن نظُنّ- سفهًا- أننا نملكها! إنها حقًّا أنهكتْني، فإن كانت عودتنا إلى قريتنا مُستحيلة، فما رأيك إذن أن يعود والدانا إلى حياتنا من جديد؟ فليَعُودا يُرشِدانا ويمنحانا الثقة والأمن والثبات، فلقد أنهكتْنا قسوة غياب ضيائهما عن عتمة حياتنا!

الأخ: حسنًا، غدًا أذهب إليهما، وأترجَّاهما ألّا أعود وحدي، سأخبرهما أنَّ الناس في مدينتا يحتاجون إليهما، ويأملان في أيديهما التي تمتدّ بالعَون دائمًا، وإن شاء الله لن أرجع إلا بهما! وأنا متأكِّد أنهما سيسعدان في مدينتنا الجديدة، فإنَّ لديهما من المرونة ما يجعلهما يُحِبَّانها، ويُصلحان من أحوالها، بل وسيُضيفان إليها الكثير، وستمتلأ بهما نورًا وخيرًا، وستنبِض بالحياة!))

نعم أخي القارئ! إنها المرونة، فهي التي تجعل الإسلام دين الحياة، كل حياة، وأي حياة.. دينًا يُصلِح أحوالنا، ويُضيف إلى عالَمِنا.. شرطَ أن نفتح له الأبواب ليدخله من جديد!

إنها المرونة التي تجعل التربية الإسلامية تربية كل عصر، وكل قَوم، وكل مكان.. إذا ما اعتمد عليها الوالدان الكريمان سهَّلت لهما الكثير من المهام، وأجابت لهما العديد من الأسئلة، وأمدَّتهما بالوقود الذي يدفع أبناءهما إلى الفلاح، كيف لا؟ وهي السبيل الذي اختاره لنا الحكيم الخبير ﷻ!

أليست تربيتنا دائمًا إسلامية؟!

أعلنت المدرسة عن ندوة تربوية، باستضافة أحد عُلماء الدين، ودعتْ أولياء الأمور إلى الحُضور؛ لمناقشة الشيخ في موضوع (التربية الإسلامية)، ولطرح أسئلتهم..

تكلَّم الشيخ عن واجب الأمهات والآباء في تربية أبنائهم على فعل الخير، واجتناب الشر، وحُسن الخُلُق مع الناس، والرحمة بالمساكين...وهناك قامت أم تسأل: إذا كانت التربية الإسلامية هي توجيه الأبناء إلى فعل الخير وترك الشر، فأظن أننا جميعًا نربي أبناءنا تربية إسلامية! أليس كذلك؟!

أجاب الشيخ: سؤالك هذا جيد جدًا! وإجابته تستحق التفصيل، فلنرجع قليلاً إذنْ لنضع الأساسات..

بدأ الشيخ بتعريف التربية فقال: تعطينا معاجم اللغة العربية أصولاً ثلاثة جاءت منها كلمة (تربية)، وهي (رَبَا- يَرْبُو)، أو (رَبِيَ- يَرْبَى)، أو (رَبَّ- يَرُبُّ). ويجمع هذه الجذور اللغوية معنى قريب، وهو أن تُصلِح الشيء وتتولَّى أمره وتَرعاه حتى ينمو ويزيد..[1]

ولذا فإننا عندما نتحدَّث عن تربية الإنسان فإننا نقصد المعنى الذي أشار إليه الأستاذ (**عبد الرحمن الباني**) في كتابه (مدخل إلى التربية): "المحافظة على فطرة الناشئين، وتنمية مواهبهم واستعداداتهم، وتوجيهها بالتدريج إلى ما فيه صلاحها وكمالها"[2].

أمّا عن الإسلام، فالفعل (أَسْلَمَ) في اللغة يعني: استسلم وانقاد وخضع وأطاع، ومن هنا سُمِّيَ الدين الذي ارتضاه الله لعباده (الإسلام)، وهو يعني كما يُعرِّفه الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: "الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشِّرك وأهله"[3]

وإذا جمعنا بين مفهوم (التربية) ومفهوم (الإسلام) يظهر لنا مفهوم (التربية الإسلامية) على هذه الصورة: المحافظة على فطرة الناشئين، وتنمية مواهبهم واستعداداتهم، ابتغاء مرضاة الله ﷻ وحده، وعلى النحو الذي أراده الله.

ذلك من جانب ما ينبغي أن يؤمن به المربي، أما من جانب ما ينقله إلى أبنائه، فإن التربية الإسلامية: هي تربية الابن على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده، وتحكيم شريعته في جميع أعماله وتصرفاته، وهي فريضة في أعناق جميع الآباء والمعلمين.[1]

---

[1] الدكتور علي بن عبده الألمعي؛ مدير عام التخطيط والسياسات بوزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية؛ موقع منبر التربية www.minbr.com

[2] عبد الرحمن النحلاوي؛ أصول التربية الإسلامية وأساليبها: في البيت والمدرسة والمجتمع؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط٢٨؛ ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م؛ ص (١٧)

[3] عبد الله بن إبراهيم القرعاوي؛ شرح تعريف الإسلام؛ المقالات؛ موقع دار الإسلام؛ www.islamhouse.com

إذن أختي السائلة، لا يقتصر الأمر على أن تُوجِّهي أبناءك إلى فعل الخير وترك الشر، بل- إضافةً إلى ذلك- ينبغي أن يكون هذا التوجيه خالصًا لوجه الله ﷻ، وابتغاء مرضاته، أن تفعلي هذا لأنك تريدين رضا الله ﷻ وثوابه، وأن تحتسبي كل جُهد تبذلينه، صغيرًا كان أو كبيرًا، أن يكون في ميزان حسناتك يوم القيامة.

وأضيفي أيضًا، أن يكون مفهوم الخير والشر عندك هو المفهوم الذي أرسل الله ﷻ به رسوله ﷺ، أن تُصنِّفي الخير والشر تبعًا لما هو موجود في القرآن والسُنّة. فقد ترَين أن شيئًا ما مِن الخير، ويراه غيرك من الشر، و قد تعتبرين شيئًا من الشر ويراه غيرك من الخير.. أمّا التربية الإسلامية فلا تقوم على احتمالات، وآراء وشكوك، إنما تقوم على أحكام الله ﷻ الحكيمة الثابتة، ونور الهدي القرآني، وجَمال النموذج المُحمَّدي.

والآن قيِّمي تربيتك بنفسك، فإن تحقَّق فيها الشرطان: أنَّ جهدك خالص لوجه الله ﷻ، وأنَّك تهتدين بالقرآن والسُنّة، فعندئذٍ قد صدقتِ في أنكِ تُربِّين أبناءك تربيةً إسلامية.

أمّا (الإخلاص لله) فهو عملٌ قَلبِيٌّ، يمكنك أن تختلي بنفسك فتُراجعي فيه نيَّتك، وأمّا (الاتِّباع)، وهو الاعتماد على القرآن والسنة في التربية، فهو ما يمكن أن تُعينك عليه، فنُبيِّن لكِ كيف تكون التربية- حقًّا- إسلامية...

□

[1] عبد الرحمن النحلاوي؛ أصول التربية الإسلامية وأساليبها: في البيت والمدرسة والمجتمع؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط٢٨؛ ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م؛ ص ٢٠

خصائص التربية الإسلامية

تتصف التربية الإسلامية بصفات فريدة، غاية في الكمال والجمال! لا توجد هذه الصفات- مجتمعةً- في أي نظام تربية آخر.. ومن هذه الصفات والخصائص أنَّ التربية الإسلامية:

(إيمانية ـ رحيمة ـ دنيوية أخروية ـ توكلية لا تواكلية ـ مطمْئِنة ـ مبادرِة ـ واقعية ـ منفتحة)

١. التربية الإسلامية (إيمانيّـــة):

وذلك بأن يُخرِج الآباء والأمهات إلى الدنيا أولادًا مُؤمنين، يُؤمنون بالله واليوم الآخِر والملائكة والكتاب والنَّبيِّين والقَدَر خيره وشرّه، .. بأن يُحدِّث المُرَبُّون أبناءهم عن الله ﷻ، ويُحفِّظونهم القُرآن، ويُعلِّمونهم الحديث...

هذا هو ما فعله النبي محمد ﷺ عندما ركِبَ خلفَهُ الغُلام الصغير (عبد الله بن عبّاس) ﷺ، فلم يقُل رسول الله ﷺ إن هذا الطفل صغير، ولنقضِ الوقت كله في الحديث عن اللعب ومغامرات الأطفال.. بل انتهز رسول الله ﷺ الفرصة لبناء إنسان، فقال: "يا غلامُ ، إني أُعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسأل اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأُمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ!" حديث صحيح.

وقد وضعت الأستاذة (**فوزية خياط**) -في كتابها (الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية)- مجموعة من الأهداف السلوكية، توضِّح للمربين المهمات التي عليهم إنجازها، فتسهُل عليهم تربية أبنائهم على الإيمان، من **أهم تلك الأهداف: [١]**

أهداف معرفية:

- أن يذكر الابن أن الإيمان هو الأساس لكسب محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ.
- أن يذكر الابن أن الله ﷻ يستحق المدح والثناء.
- أن يذكر الابن أن العبد يحب الله ﷻ لأجل إحسانه وتفضُّله عليه.
- أن يذكر الابن ما يُبصِره من حِكَم ربانية وراء الأحداث.
- أن يتكلَّم الابن بما يعرف من معانٍ إسلامية، كالصبر والتوكل والإخلاص.

[١] فوزية رضا أمين خياط؛ الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية؛ مكتبة المنار؛ مكة المكرمة؛ ط١؛ ١٤٠٨هـ- ص١٥٤.

- أن يذكر الابن ما يحفظ من القرآن والحديث في المواقف المناسبة.

أهداف وجدانية:

- أن يميل الابن في أقواله وأفعاله إلى محبة أهل الإيمان، وينفُر من فساد أهل الكُفر والفسوق والعصيان.
- أن يَظهر الرضا على وجهه إذا رأى طاعة الله ﷻ، ويظهر الغضب عليه إنْ انتُهِكت حُرمة من حُرُمات الله ﷻ.
- أن تجد الابن راضيًا بقضاء الله ﷻ مستسلمًا لما لا يستطيع تغييره من القَدَر.
- أن يستخير الله ﷻ في كل عمل ينوي القيام به، مع الأخذ بالأسباب.

أهداف مهارية:

- أن يحفظ من القرآن الكريم والحديث الشريف.
- أن يتلو القرآن الكريم ويستشهد به وبالحديث الشريف في كلامه.
- أن يحافظ على الصلاة، وسائر الفرائض، ويزيدها بالنوافل.
- أن يتبرع في أعمال الخير بوقته وماله.
- أن يدعو غيره إلى عمل الخير، ويأمر بمعروف، وينهى عن منكر.

٢. التربية الإسلامية (رحيمة):

- إنَّ أولئك المُرَبّين الذين يميلون إلى الالتزام، ويحبون أن يُربُّوا أبناءهم تربية إسلامية، فإذا بهم يشتدُّون على الأبناء، ويتعنَّفون عليهم، ويمنعونهم الضَّحِك، ويلومونهم على اللَّعِب، ويُرهِبونهم ويُخيفونهم، ويعزِلونهم عن الحياة!... هذه ليست تربية إسلامية! هذه تربية مبتدَعة، يستحقون عليها براءة اختراع!
- ليست التربية الإسلامية ألَّا تُقبِّل أولادنا.. (جاء في الحديث الصحيح، أنَّ رسول اللهِ ﷺ قبَّل حفيده (الحسنَ بنَ عليٍّ) وعِندَه رجل جالس يُسمَّى (الأقرَع بن حابسٍ التميمي)، فقال الأقرَعُ : إن لي عشَرةً من الولَدِ ما قبَّلتُ منهم أحدًا! فنظَر إليه رسولُ الله ﷺ فقال: مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ!).
- ليست التربية الإسلامية أن نربِّي أولادنا على الحرمان.. (قالت السيدة (عائشة) -رضي الله عنها- : دخلتْ عليَّ امرأةٌ ومعها ابنتانِ تسألُ، فلمْ تجدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ واحدةٍ، فأعطيتُها، فَقَسَمتْها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامتْ فخرجتْ، فدخلَ علينا النبيُّ ﷺ فأخبرتُهُ فقالَ: من ابتُلي من هذه البناتِ بشيءٍ، فأحسنَ إليهنّ، كُنَّ له سترًا من النار.) حديث صحيح

- ليست التربية الإسلامية أن يقوم الصغير للكبير احترامًا فحسْب، بل أن يقوم الكبير للصغير رحمةً أيضًا... (كان رسول الله ﷺ إذا دخلت عليه ابنته فاطمة قام إليها، وقال مرحبًا بابنتي، وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه.) حديث صحيح
- وليست التربية الإسلامية أن نُخفي عواطفنا عن أبنائنا، أو نخجل من التعبير عنها أمام الناس.. (رسول الله ﷺ كان يذهب إلى منطقة العوالي لا لسبب، إلا ليُقبِّل ابنه إبراهيم، ثم يرجع.) حديث صحيح

٣. التربية الإسلامية (دُنيوية أُخرَوِيّة):

- الإسلام هو دين الدنيا والآخرة، فهي رحلة واحدة، وصراط واحد مستقيم، لا يأمرنا الإسلام أن نهجر الدنيا، شرط أن لا نبيع الآخرة. والتربية الإسلامية هي التي تُربِّي الأبناء على أن النجاح في الدنيا والارتقاء في منازلها والتمكُّن من أسبابها، أمر واجب، وكذلك فإن الغاية من كل ذلك هو الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- فتربيتنا ليست رهبانية، نعتزل الدنيا وزينتها لنفوز بنعيم الآخرة، ولا تربيتنا علمانية، نبيع الآخرة الأبدية لنشتري حياة زائلة.

وهذا الجمع بين الدنيا والآخرة نجده في القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص: ٧٧] ، وقوله ﷻ : ﴿**وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾ [آل عمران: ١٤٥] وكذلك: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١]

٤. التربية الإسلامية (توكُّليّة لا تَوَاكُلية):

التوكُّل على الله! قيمة تربوية غالية جدًّا، يمكن للمربي أن يجعل منها طاقة إيجابيّة دافعة تصنع المعجزات، ومن الممكن أن يجعل منها عائقًا مُثبِّطًا مُخدِّرًا يُضيِّع الفرص على الأبناء، ذلك إذا تحوَّلت إلى تواكل!
معنى التوكُّل الصحيح في التربية الإسلامية هو أن يتوكَّل القلب على الله ﷻ، وتعمل الجوارح (أعضاء الجسم) بكل طاقتها وتبذل كل جهدها.
فالمربي الذي يرى ابنه مُقصِّرًا فيقول له (توكَّل على الله)، أو (الله معك وسيجبرك)، أو يراه قد فشل فيقول (لو شاء الله أن تنجح لنجحتَ)... دون أن يأمره ببذل كل ما يستطيع من جهد، فإنه لم يوصِل إليه المعنى الصحيح للتوكُّل، وبالتالي لم يضع قدمَيه على سُلَّم النجاح. يقول الخطَّابي: "قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقَدَر إجبار الله ﷻ العبد وقهره على ما قدَّرَه وقضاه، وليس الأمر كما يتوهَّمونه، وإنما

معناه الإخبار عن تقدُّم علم الله ﷻ بما يكون من اكتساب العبد.[1] إذن سبق في علم الله ﷻ ما سيكون من جهد، وقد ترك لنا الخِيار أن نبذله أو لا نبذله.

وقد أرشد القرآن الكريم كثيرًا إلى ضرورة الأخذ بالأسباب، وعدم التكاسل بحجة طلب العَون من الله، فإن النشيط- ولا شك- أولَى بالعَون من الكسول. يقول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً، فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] وفي الآية اقتران بين المشي (السعي) والأكل (الرزق)، وفي آية أخرى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]، ولأن السيدة (مريم)- عليها السلام- ليس بوسعها في الواقع أن تهز النخلة- خاصة في حالة ضعفها تلك- فإن في الآية إشارة أنه ليس على الإنسان أن يتخطَّى قدراته، بل عليه فقط أن يبذل ما في وسعه- وإنْ كان قليلاً جدًّا- ويتوكَّل قلبه على الله وهو على كل شيء قدير.

٥. التربية الإسلامية (مُطَمْئِنـــة):

التربية على مبادئ الإسلام تسقي المسلم جرعات الثقة والأمان والهدوء النفسي والطمأنينة! فلا يعرف الإسلام الشخصية القلوقة، ولا الهلوعة المتوترة.

لقد بدأت السيدة (خديجة) -رضي الله عنها- رحلة الإسلام بقولها للنبي محمد ﷺ "والله لن يُخزيك الله أبدًا"، وجاء القرآن الكريم ليطمئن المؤمنين، فلا خوف ولا حُزن: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس:٦٢]، ولا سُلطان للشيطان عليهم: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [النحل: ٩٩]

إن الإسلام يضع المؤمن في حِصن حصين، فـ"مَن صلَّى الصُّبحَ فهوَ في ذِمَّةِ اللَّه" حديث صحيح. و"مَن قال صَباحَ كلِّ يومٍ و مَساءَ كلِّ ليلةٍ ثلاثًا ثلاثًا: بِسمِ اللهِ الَّذي لا يضرُّ معَ اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهوَ السَّميعُ العَليمُ؛ لَم يَضرَّه شَيءٌ" حديث حسن صحيح. وفي الحديث الصحيح أيضًا: "أما إنَّكَ لو قلتَ حينَ أمسيتَ (أعوذُ بِكَلماتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ من شرِّ ما خلقَ) لم يضرَّكَ شيءٌ إن شاءَ اللَّهُ تعالى".

الإسلام قاهر الخَوف، فلا خوف من شيء، إلا الخوف من الله ﷻ، وحتّى الخَوف من الله ﷻ لا يُحمَد إنْ لم يختلط بالرجاء! قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

هذا الأمان الذي يتربَّى عليه المؤمن، نراه خوفًا وقلقًا على وجوه المُلحِدين.. يُخيفهم الشك! فهم يشكُّون في كل شيء، وليست عندهم إجابة واحدة قاطعة مؤكدة؛ فدينُهُم ظنُونُهم، والتي قد تكون كاذبة.. مَن يُخبرهم باليقين؟

---

[1] محمد علي عزب؛ الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية؛ دراسات تربوية ونفسية؛ مجلة كلية التربية بالزقازيق؛ العدد ٦٧؛ أبريل ٢٠١٠؛ ص٦

مَن يُقسِم لهم على الحق؟ وبِمَن يُقسِم إنْ لم يكن هناك إله! إلى مَن يلجؤون عند الشدة؟ مَن يُجيب مُضطرّهم؟ ماذا لو كانت الآخرة حق؟ أين سيكون مقعهدهم فيها؟ ... أسئلة على أسئلة.. خَوف على خَوف!

ولذلك أيها المربي الكريم، وجب عليك أن تبث روح الأمان في نفوس أبنائك، علِّمهم أن يذاكروا لأنهم يرغبون في النجاح لا لأنهم يرهبون الفشل، بشِّرهم بأن المريض يُشفى، والجاهل يتعلَّم، والعُقد تنحلّ، والتوبة تُقبَل، والمصيبة تهون، والغائب يعود، والفقر يزول، ... وأنّ ربَّهم ودودٌ غفور!

٦. التربية الإسلامية (مُبـــادِرة):

التربية على مبادئ الإسلام تنتج إنسانًا شُجاعًا، ومُبادرًا، لا جبانًا ولا خوَّارًا، فالشخصية المسلمة التي يصنعها الإسلام لا تقف بموقف ردة الفعل، فلا تَهاب أن تُبادر، ولا ترتعش قدماها عند الخطوة الأولى، ولا تتردد يدها في طرق الأبواب المُغلقة..

عَوِّد ابنك أن يُطلق إشارة البدء في حياته اليومية، أن يُرشِّح كتابًا لزملائه ليقرؤوه، أن يقترح مشروعًا ينفذونه معًا، أن يقترح لعبة يلعبونها، أن يقترح مكانًا يذهبون إليه، أن يُبادر بالصُّلح بين المتخاصمين، أن يطلَب ما يحتاج إليه، ويسعى إليه، ولا ينتظر حتى يُعرَض عليه...

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، لقد أمره الله ﷻ أن يُبادر بطرح أفكاره على الناس، فالدعوة إلى الإسلام أصلاً مُبادرة ، أمرَهُ الله ﷻ أن يمسك زمام المبادرة فيقول (تعالَوا): ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله جل وعلا: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١]

والأنبياء مبادرون في دعوتهم، فقد بادرَ النبي إبراهيم عليه السلام بطرح الأسئلة: ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾ [الأنبياء: ٥٢]، وبادر النبي موسى عليه السلام بعَرض آيات صِدقه قبل أن تُطلَب منه: ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء: ٣٠]، وبادر بعَرض خدماته دون أن تُطلب منه كذلك: ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٣]

والمسلم مُبادر بمَد يده للسلام: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت:٣٤]، ومُبادر بتغيير الواقع قبل أن يتغيَّر الواقع عليه: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٤]

٧. التربية الإسلامية (واقعيـــة):

التربية الإسلامية تربية واقعية عمليّة، هي صلة بين الدين والواقع، بين ما ينبغي أن يكون وبين ما هو كائن، وليس الإسلام دين شعارات ولا خيالات، ولذلك علينا ونحن نربي أبناءنا- بجانب أن ننظر في القرآن والسُّنة- أن ننظر في الواقع الذي يعيشونه والزمن الذي خُلِقوا فيه؛ لنكون واقعيِّين لا مِثاليين.

وكلامنا هذا لا يسري على ثوابت الدين، وأحكام الشرع، وسُنّة الحبيب المصطفى ﷺ، "فإن من الآداب الشرعية والأخلاق الفاضلة ما لا علاقة له بزمان أو مكان، فالصدق ، والأمانة ، وترك المعصية ، ولزوم الطاعة... كل هذا لا علاقة له بالزمان والمكان.[1]" وإنما يتعلق كلامنا بالأدوات المتعددة التي نستخدمها، والوسائل المختلفة التي توصلنا إلى الهدف الواحد.

فمثلاً كان هدف رسول الله ﷺ إبلاغ الدعوة وهداية الناس، فلم يقُم في الناس ذات صباح ليُعلِن فيهم الإسلام فجأة، بل كانت وسيلته الدعوة إلى الله سِرًّا في السنوات الأولى، ثم صارت وسيلته إعلان دعوته على الملأ.

وكانت الدعوة السرية تلك هي وسيلة لحماية الدعوة، وحماية المؤمنين بها، ... وبعد سنوات أذِنَ الله ﷻ للمسلمين- بعد الهجرة إلى المدينة- بالجهاد بالسيف، ذلك للغرض نفسه! غرض حماية الدعوة وحماية المؤمنين بها.

ومن أكثر النماذج وضوحًا على أن التربية الإسلامية واقعيّة حقًّا، (صُلح الحُدَيبية)، ذلك الصُّلح الذي وقَّعه رسول الله ﷺ مع زعماء قريش، وفيه تنازُلات في بُنود المعاهدة، اعتبرها بعض المسلمين انتقاصًا من عِزّة الإسلام وتهاوُنًا بحقوق المسلمين، لكنَّ رسول الله ﷺ نظر نظرةً عمليةً واقعيّة، ولم تدفعهُ شعارات العِزّة والكرامة إلى التعنُّت والخياليّة بطلب ما يعرِف أنه لا يمكن الحصول عليه. وبالفعل كان هذا الصُّلح للمسلمين شبيهًا بانطلاق السهم، يرجع قليلاً إلى الوراء لينطلق أسرع وأقوى.

٨. التربية الإسلامية (منفتحة):

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]

الإسلام دين واسع رَحب، ليس فيه انغلاق على النفس، ولا سدّ للآذان أمام صوت مختلف!

وقد يدفع الحرص والإشفاق أبًا مُلتزمًا أن يُربِّي أبناءه على طريقة قوم نوح ﷺ: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ، وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]، فهو يُشكِّل ابنه على نمط معين، يعتقد أنه صحيح، أو يعتقد أنه مُريح، ويُحذِّره من أن يتَّخذ طريقًا مختلفة، أو حتَّى يطَّلِع عليها.

ومنهج القرآن الكريم على عكس ذلك، فهو يحكي لنا قصص الأمم جميعًا، كافرها ومؤمنها، يعرض علينا- صراحةً- شُبُهات المُلحِدين، ومُجادلات المُشكِّكين، وحُجَج المُخالفين، ... ويَرُدّ عليها ويُفنِّدها. ولو شاء الله ﷻ لجعل في القرآن الكريم رأيًا واحدًا، ولجعل كتابه صوتًا للموحِّدين الطيبين دون غيرهم؛ لِئَلَّا تكون فتنة! لكنه ﷻ ما فعل... فلنرَ في هذه الحالة العملية ماذا يمكن أن تنتج التربية المنغلقة:

---

[1] الحديث وعلومه؛ موقع الإسلام سؤال وجواب؛ www.islamqa.com

** كانت هذه بعضًا من خصائص التربية الإسلامية، وهي كثيرة ومتعددة، بتعدُّد المعجزات الإنسانية القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة، يصعب حصرها هنا، لكننا انتقينا منها ما رأينا حاجتنا إليه ألحّ، وفقرنا إليه أقوى.

والآن، بعدما تعرَّفنا على خصائص التربية الإسلامية، تبادر إلى ذهننا السؤال:

كيف السبيل إلى تحقيق غاياتها؟ ما أساليب التربية الإسلامية التي أرشدنا إليها القرآن والسنة؟

هيا بنا نُبحِر معًا في مصادرنا الإسلامية القيِّمة؛ لنُخرِج منها- بعَون الله- لآلئ الحِكمة والهُدى، وجواهر التأديب والتربية..

حقٌ علينا قبل أن نُعدِّد أساليب التربية الإسلامية، أن نتأكَّد من وضوح لفظة (أسلوب) في ذهن القارئ.
الأسلوب في اللغة- عزيزي المربي- هو: السَّطر من النخيل، وهو أيضًا كل طريق ممتدة، واستُخدمت الكلمة لاحقًا لتعني: الطريق، والوَجه، والمذهب[1].
إذن عندما نتكلم عن (أساليب التربية الإسلامية) فإننا نعني الطريقة التي يستخدمها المُرَبِّي للتأثير في أبنائه، في أفكارهم وشخصياتهم وتصرفاتهم، الطريقة التي بها يصنع منهم- بإذن الله- أشخاصًا صالحين ناجحين، الطريقة التي يمكن بها تقويم سلوكهم إنْ مالوا، وتعديله إنِ انحرفوا.
إذن دورنا الآن أن نبحث في القرآن الكريم وفي السيرة النبوية عن الطريقة! نبحث عن الهَدي الربّاني في أساليب التربية، وأن نقتبس منه الطُرُق والنماذج الجاهزة للتنفيذ، ويبقي أن نضع بصمتنا، كلٌ بِحسَبِ أبنائه وأهدافهم وبيئتهم.
ومن أهم الأساليب التي نراها واضحة في التربية الإسلامية:

(التربية بالوعظ المباشر ـ التربية بالقصة ـ التربية بالقدوة ـ التربية بالتقعيد ـ التربية بالحوار)

⊙ التربية بالوعظ المباشر:

كثيرًا ما نقابل في القرآن الكريم آيات الأمر والنهي المباشر، افعلْ ولا تفعلْ، مثل قوله ﷻ: **{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}** [الرحمن٩]، وفي سورة النساء: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ، وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ، إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}** [النساء٢٩]، وفي سورة الأنفال: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ}** [الأنفال٤٥]
ونجد مثل هذا الوعظ في الحديث الشريف، مثل قوله ﷺ: "أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنَكَ ، ولا تخُنْ من خانكَ" حديث حسن، و"يا أيها الناسُ أفشُوا السلامَ، وأطعمُوا الطعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصَلّوا والناسُ نيامٌ، تدخلوا الجنةَ بسلامٍ" حديث صحيح، و"لا تَكونوا إمَّعةً" حديث حسن.... وغيرها.
ففي الآيات والأحاديث السابقة أوامر(أقيموا، اثبتوا، اذكروا، أدِّ، أفشوا، ...)، ونواهٍ (لا تُخسِروا، لا تقتلوا، لا تخُن، لا تكونوا، ...) وهذا هو أسلوب الوعظ المباشر.
وأنت أيضًا، أيها المربي الكريم، تستخدم هذا الأسلوب في تربية ابنك، بأن تأمره بالسلوكيات الطيبة مثل: احفظ القرآن، ذاكِر دروسك، نَم مبكرًا، اتَّصِل بجدَّتِك، زُر خالتَك، روِّح عن نفسك، ...

---

[1] ابن منظور؛ مادة (سلب)؛ (لسان العرب)؛ ج ٧؛ دار صادر؛ بيروت؛ ط١١؛ ٢٠٠٠م؛ ص ٢٢٥.

وتنهاه عن السلوكيات السيئة، مثل: لا تكذب، لا تُصاحب المُهملين، لا تُضيِّع وقتك، لا ترفع صوتك،... وغير ذلك.

وهذا الأسلوب مفيد في تربية الأبناء على طاعة كل صوت رشيد يأمر بالخير.

⊙ التربية بالقصة:

القرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء والصالحين، وكذلك قصص الطغاة والمُفسدين. وهذه النماذج- بنَوعَيها- لها أثرها العظيم في تربية الإنسان المسلم على التمييز بين الخير والشر، وعلى التخيُّل وسعة الأُفُق.

فمن النماذج الطيبة في القرآن الكريم: قصة آدم وتوبته من الذنب، قصة يوسف وصبره على السجن، قصة إبراهيم وثباته في النار، قصة مريم وثقتها بالله، قصة زكريا وأمله في الله، قصة ذي القرنين ونُصرته الحق، قصة هابيل وجهاده النفس، قصة أم موسى وتصديقها بوعد الله، قصة أصحاب الكهف وثباتهم على الإيمان، قصة النملة وإيجابيتها وحسن ظنها بالغير، قصة الجِنّ واستجابتهم وتحفُّزهم للدعوة....

أمّا عن النماذج غير الطيبة: قصة فرعون وجبروت السلطة، قصة قارون وطغيان المال، قصة النمرود وغُرور المُلك، قصة بني إسرائيل والمماطلة في الطاعة، قصة قوم صالح والتجرؤ على الله، قصة صاحب الجنة وزهو الغِنى، قصة أصحاب الأخدود وغِلظة القَلب،...

أمّا السيرة النبوية فإنها كلها- من أولها إلى آخرها- قصة جميلة، لإنسان طيب كريم، رسول رؤوف رحيم، صلى الله عليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، لا يجد المسلم مُتعة تعدِل الاستماع إلى حلقات سيرته الكريمة، ومعرفة تفاصيلها العظيمة.

والمُربِّي الماهر هو الذي يأخذ هذا المفتاح من القرآن الكريم، أسلوب القصة، ويفتح به قلوب وعقول أبنائه إلى ما يهدف إليه من أخلاق طيبة. وذلك بآداب معينة:

أن يحكي المربي لأبنائه قصصًا من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف أو من كتب السيرة.

أن يحكي المربي للأبناء قصصًا من الواقع عن أشخاص ناجحين من العائلة أو الأصدقاء، بطريقة تحفيزية مُشجِّعة.

يمكن للمُربي أن يحكي قصصًا سواء من وحي خياله، أو من الكتب القصصية والروايات، المهم أن تخدم الفكرة التي يريد إيصالها للابن.

إنْ أراد المُربِّي أن يحكي قصصًا لأشخاص فاسدين، فلا يلزم أنْ يذكر أسماءهم؛ كي لا يقع في الغِيبة.

لا يكتفي بسرد قصص الفاسدين، بل يجب ذِكر نهاياتهم الفاشلة، كي ينفُر الابن من هذه النماذج.

على المُربي ألا يذكر الهدف من القصة قبل روايتها، مثلاً لا يقول: سأحكي لك الآن قصة تستفيد منها خطورة أصحاب السوء؛ لأنَّ هذا قد يجعل الابن يُغلق آذانه عن القصة من البداية لأنه يحب أصحابه.

والصحيح أن يحكي المُربي القصة ويترك ضمير الابن يستنبط منها الفوائد بنفسه بعد نهايتها، ولا بأس أن يسأله في النهاية عن رأيه في القصة وما استفاده منها.

على المُربي تجنُّب مقارنة ابنه ببطل القصة، إن كانت المقارنة سلبية، فمثلاً إن كان الولد صعب المِراس، لا تقل له: الآن أحكي لك قصة (الولد المُطيع) لترى الفرق بينك وبينه! فهذه الطريقة المُحبِطة تقتل عزيمة ابنك على الاستفادة من القصة.

وعند حكاية القصة يكون المربِّي واعيًا أنه جنبًا إلى جنب مع مُتعة التسلية، فإنه يعمل في سبيل تحقيق أهداف واضحة ومحددة، ألا وهي: [1]

الهدف العَقَدي: أن تحكي القصة بهدف تقوية إيمان الابن بالله ﷻ، وإجابة أسئلته عن مسائل العقيدة، بأسلوب شائق ومبسط.

الهدف الخُلُقي: أن تحكي القصة لتوصل رسالة إلى الابن عن طريق بطل القصة وأحداثها، يحب فيها الأخلاق الإسلامية الطيبة، وينفر من الأخلاق الخبيثة.

الهدف العقلي: أن تحكي القصة لتزداد معارف الابن ويتسع عقله، فيعرف أماكن جديدة وعادات كثيرة لم يكن يعرفها، كذلك أن تعمل على توسيع نطاق قدرته على التخيُّل.

الهدف اللغوي: أن تحكي القصة بهدف زيادة حصيلة الابن اللغوية، فيعرف كلمات جديدة من اللغة العربية، لغة القرآن الكريم. وكذلك بهدف تنمية مهارته في الاستماع. ويمكن أن تطلب منه أن يقرأ القصة بصوت عالٍ أو يكتبها لك، لتصحح أخطاءه القرائية والكتابية بطريقة اللعب.

الهدف الاجتماعي: أن تحكي القصة ليعرف الابن المزيد عن المجتمع الذي يعيش فيه، ولتجهِّزه لفهمه والتكيف والتعامل معه.

الهدف الجسمي الحركي: أن تحكي القصة لتوصل إلى الابن رسائل ذكية بالمحافظة على جسمه واتباع العادات الصحية الإسلامية، ولكي تدفعه إلى الحركة والنشاط بأن تطلب منه أن يُمثِّل دورًا في القصة ويُقلِّد حركات بطلها.

⊙ التربية بالقُدوة:

اتَّفق المُربُّون على أن قُدوة حَسَنة واحدة أعظم تأثيرًا من عشرات الخُطَب والمواعظ.. ذلك لأن المواعظ تتحدَّث عن الأخلاق الطيبة، دون دليل فيها على الواقعية، فقد تعِظ ابنك ويظل بداخله شكوك، يشك أنَّ هذا المثال الذي تطلب منه أن يكون عليه يمكنه بالفعل تنفيذه.

أما القدوة فهي الموعظة مع الدليل! لا يمكن بعد أن يرى الابن النموذج شاخصًا أمامه أن يقول: لا يمكن أو لا أستطيع.

"ويُعتبَر اقتفاء القُدوة مسألة هامة في جميع الأعمار، إلا أنه يُصبح أكثر رسوخًا في النفس بين سِن ٦ و ١٢ عامًا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الطفل في سن الرابعة من عمره يتصوَّر أباه (قدوة مُطلقة) يعرف كل شيء،

---

[1] هناء بنت هاشم الجفري؛ بحث لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية بعنوان: التربية بالقصة في الإسلام وتطبيقاتها في رياض الأطفال؛ إشراف د. أميرة طه بخش؛ كلية التربية؛ جامعة أم القرى؛ المملكة العربية السعودية؛ ١٤٢٩هـ؛ ص٦٠

وأن كل ما يبدر منه صحيح، ولهذا السبب نؤكد لهم دومًا على ضرورة الانتباه لكل حديث أو تصرف يصدر منهم.[1]"

وتختلف التربية بالقُدوة عن التربية بالقصة- التي ذكرناها منذ قليل- في أن (القصة) سلسلة من الأحداث، يتفاعل فيها أشخاص، في ظروف معينة، وفي نهايتها يخرج الابن بعِبرة مُستفادة، فيما يُشبِه (الرواية أو الفيلم). أما (القُدوة) فهي شخص من لحم ودم، يقابله الابن في حياته اليومية، شخص يتصرّف بطبيعته الجيدة فيتأثر المحيطون به لمجرّد مراقبة أفعاله وأقواله؛ لذلك فالقصة مكتوبة ومُعدَّة للوصول إليك، أمّا النموذج فهو ما يشُدُّك- بقدراته المتميزة- لتصل إليه؛ ولذلك فهو أقوى جاذبيةً وتأثيرًا.

يقول الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:٢١]، فرسول الله محمد ﷺ هو النموذج الأحسن الذي اختاره الله ليكون قدوة للمسلمين، يتمثَّلون به في كل أقواله وأفعاله ومنهج حياته؛ فيوفِّر المُربِّي على نفسه كثيرًا من المشقّة إذا ربط طفله منذ الصغر بشخصية رسول الله ﷺ، وجذبه إليها، وحبَّبه فيها، وبذلك ينشأ الابن تلقائيًّا على تقليد رسول الله ﷺ، وعلى البحث في كتب السيرة والسُّنة على إجابات لأسئلته، وفي ذلك وقاية له من الانحراف.

ويُساعد على ذلك أن الإنسان- كما يقول علماء التربية- مُقلِّد بطبعه، يُراقب الناس ويفعل مثلهم، سواء في الخير أو في الشر؛ فليكُن الآباء متيقِّظين جدًّا لكل أفعالهم وأقوالهم، أن تكون حسنة طيبة، إنْ أرادوا النجاح في التربية.

ومن قصص السيرة التي تدُل على أن الإنسان مُقلِّد فِعلاً، ما رواه الإمام أحمد بسنده في قصة (صلح الحديبية)، أنه لما تم الصلح بين النبي ﷺ ومشركي قريش، قام رسول الله ﷺ فقال: (يا أيها الناس انحروا واحلقوا) فما قام أحد! ثم كرَّر الأمر، فما قام رجل! ثم أمرهم مرة ثالثة، فلم يستجبْ منهم رجل! فرجع رسول الله ﷺ فدخل على زوجته (أم سلمة) -رضي الله عنها- يُخبرها، فالتمست العُذر للناس بأنهم كان لديهم الأمل في دخول مكة، وشعروا بالإحباط من بنود الصُّلح، وأشارت على رسول الله أن يخرج إلى الناس فلا يكلم منهم أحدًا، وينحر ذبيحته ويحلق شعره، فإذا فعل ذلك فعلوا مثله. فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدًا، حتى أتى هديه فنَحَرَهُ، ثم جلس فَحَلَقَ رأسَه، فلمّا رآه الناس قد فعل، قاموا فنحَرُوا وحلَقوا مثله[2].

وبصفة عامّة، اقتدى الصحابة برسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة فعلها، بدايةً من العبادات، فصلوا كما صلى، وصاموا كما صام، وساسوا الحُكم كما ساس... وصولاً إلى تفاصيل الحياة اليومية، فجلسوا كما جلس، وأكلوا كما أكل، وناموا كما نام...

ولْتعلموا، أيها المُربُّون الأفاضل، أنكم في نظر أبنائكم قُدوة، نموذج، مثال، يُحبُّون الاقتداء بكم وتقليدكم في كل شيء. ألا ترَون كيف أن البنت الصغيرة ذات العامين تلبس حذاء أمها وتمشي تترنَّح به، لا لشيء إلا

---

[1] علي القائمي؛ تربية الطفل دينيًا وأخلاقيًّا؛ ترجمة: البيان للترجمة؛ مكتبة فخراوي؛ البحرين- المنامة؛ ط١؛ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م؛ ص٨١

[2] أمين دويدار؛ صور من حياة الرسول؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ ١٩٨٧م؛ ج٣؛ ص٤٦٥.

لتقلّد أمها؟! وكيف يلبس الطفل الصغير نظارة أبيه فتؤلِم عينيه، فقط لأنه يريد أن يشبهه؟! وكيف أن الطفل ذا الأعوام الخمسة ينهر أخاه ذا الأعوام الثلاثة إذا أخطأ ويُأخذه فيعلمه الصحيح، إنه يتقمَّص دور الوالدَين!... هذه فرصتكم، فلقد هيَّأ الله لكم أبناءكم ليقلدوكم، فإذا أردتم أن يكونوا على سلوك ما قويم، فلتبدأوا بأنفسكم فتفعلوه، وستجدونهم يفعلون كما تفعلون!

⊙ التربية بالتقعيد:

التقعيد أي وضع القواعد، وهذا أسلوب في التربية مفيد حقًّا، فهو قريب من أسلوب (الوعظ المباشر) لكنّه ألين وأخفّ على النفس.

وطريقة التقعيد هي أن تذكر قاعدة لابنك دون أن تأمره أو تنهاه، مثلاً في سورة الزلزلة قال الله ﷻ:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ومَن يَعمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة٧]، فمن الواضح أن الآية الأولى فيها ترغيب في فعل الخير، والأخرى فيها ترهيب من فعل الشر، وذَكَرَ الله ﷻ القاعدة دون أن يقول للناس (افعلوا الخير لتروا ثوابه، واجتنبوا الشر لتتقوا عقابه).

ومثال آخر من سورة النساء: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ١١٠]، وفي الآية الكريمة دعوة إلى الاستغفار، وذكرَ الله ﷻ القاعدة فقط :من يفعل سوءًا ثم يستغفر الله يغفر الله له، دون أن يأمر المؤمنين مباشرة بفعل الأمر (استغفروني).

ومن أمثلة الحديث الشريف، قول رسول الله : "آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ." حديث صحيح، ولا يخفى أن الحديث الشريف ينهى عن الكذب وخُلف الوعد والخيانة، دون أن يستخدم رسول الله ﷺ أفعال النهي (لا تكذب، لا تُخلِف، لا تَخُنْ)، ولكن مجرد ربط هذه الأفعال بالمُنافق، رسم لها صورة مُنفِّرة لا يرضاها مؤمن لنفسه.

فلا تقتصر أيها المربي على (افعل ولا تفعل)، فإن الأبناء الأعزَّاء يملُّون، وتراهم يعصونك ولا يُطيعون، فكثِّف من استخدام طريقة التقعيد، ضع لهم مجموعة من القواعد، لا تنفعهم في موقف واحد فحَسْب، بل تنفعهم في حياتهم كلها.. مثلًا بدلاً من أن تقول (ذاكِرْ)، قل (إن المجتمع يحترم المتفوِّقين)، وبدلاً من أن تقول (نظِّف غرفتك)، قل (إنَّ الله جميل يحب الجمال)، وبدلاً من أن تقول (لا تُضيِّع مالك) قل (الفقراء يحتاجون إلى المال الذي تُضيِّعه)...

⊙ التربية بالحوار:

يقول أمير الشعراء (أحمد شوقي): "النصح ثقيل؛ فلا تجعله جَدَلاً، ولا تُرسِله جَبَلاً"[١]

وقد صدق! فلو لم يكن النُّصح ثقيلاً لَما تردَّد كثير منّا قبل أن يتوجَّه إلى إنسان بالنصيحة، ولو لم يكن ثقيلاً لما امتعض كثير من الناس وأظهر لك استياءه من نصيحتك!

---

[١] أحمد شوقي؛ أسواق الذهب؛ الدار العالمية للنشر والتوزيع بالإسكندرية؛ ط١؛ ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م؛ ص١١٧

فالحمد لله الذي جعل لنا مخرجًا من هذا.. ألا وهو النصيحة بالحِوار!

وأمثلة الحوار في القرآن الكريم كثيرة، منها الحوار الذي دار بين الله رب العالمين وملائكته عند خلق آدم، والحوار الذي دار بين رسول الله (إبراهيم) عليه السلام والنمرود في سورة البقرة، والحوار الذي دار بين رجلين لأحدهما جنتان في سورة الكهف، ويدخل تحت ذلك العنوان كل ما أمر الله نبيه أن يُحاور به المشركين، والذي كثيرًا ما نجده في القرآن الكريم بلفظة (قُلْ...،وقُلْ ...، فَقُلْ...) ، مثلما نجد في سورة الإسراء:

﴿**وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ،فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا،قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ، قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا.** ﴾ [الإسراء ٥١:٤٩]

أمّا في السُّنّة، فقد برزت مواهب رسول الله ﷺ وقدراته الفذّة في التأثير في الناس بالحوار، إلى درجة لا يُنافسها أعظم المُحاورين، فكَم من رجُل دخل إلى رسول الله ﷺ إنسانًا، وخرج من عنده إنسانًا آخر؛ ولذلك كان المشركون يتّهمون رسول الله بالسِّحْر، لأنَّ حِواره الحكيم يُغيِّر العقول ويُبدِّل القلوب!!

ولأننا معكم الآن، أيها المربون الكِرام، في موضوع التربية؛ فسنكتفي بذكر حوار واحد تربوي من حوارات رسول الله ﷺ:

روى (أبو أمامة) أنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ فقال : يا رسولَ اللهِ! ائذنْ لي بالزِّنا.

فأقبلَ القومُ عليه فزجَروه وقالوا : مَهْ مَهْ!!

فقال رسول الله: ادنُهْ. (يعني اقتربْ)

فدنا الشاب منه قريبًا، فجلس.

قال رسول الله ﷺ : أتُحبُّه لِأُمِّكَ ؟

قال الشاب : لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَك.

قال : ولا الناسُ يُحبونَه لأُمهاتِهم.أفتُحبُّه لابنتِك؟

قال : لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، جعلني اللهُ فداءَك.

قال : ولا الناسُ يُحبونَه لبناتِهم. أفتُحبُّه لأُختِك؟

قال : لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَك.

قال : ولا الناسُ يُحبونَه لأَخَواتِهم. أَفتُحبُّه لعمَّتِك؟

قال : لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَكَ.

قال : ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لعمَّاتِهم. أفتُحبُّه لخالتِك؟

قال : لا واللهِ، جعلني اللهُ فداءَكَ .

قال : ولا النَّاسُ يحبونَه لخالاتِهم.

فوضع النبي يدَه على الشاب، ودعا: اللهمَّ اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرْجَهُ.

فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفتُ إلى أشيء من أمر الزنا."حديث صحيح

وفي هذا الحوار القصير كثير من الدُّرَر التربوية الثمينة، أرشد إليها الأستاذ (**عبد الله آل يعن الله**) في مقالته بعنوان (حينما زُجِرَ مُريد الزنا)[1]:

لولا أن ذلك الشاب عرف عن رسول الله ﷺ سعة الصدر واحترام الناس لما تجرَّأ في مصارحته برغبته في الزنا! فلا تتهم أيها المربي ابنك بأنه يُخفي عنك أسرارًا قبل أن تراجع نفسك، أن يكون السبب من جهتك لا من جهته.

من الأسباب التي جعلت رسول الله ﷺ يترفَّق في حواره مع الشاب أنه نظر إلى الجوانب الإيجابية في كلامه، فكان من الممكن أن يذهب الشاب فيزني دون أن يسأل، لكن لأنه جاء وسأل رسول الله ﷺ أوَّلاً فمعنى ذلك أنه مؤمن، وهكذا عليك أيها المُربِّي أن تبحث عن الجوانب الإيجابية في تصرفات أبنائك مهما بدت خاطئة.

لّما سمع القوم الحاضرون سؤال الشاب، ثاروا وزجروه وتعنَّفوا عليه، وبرغم ذلك فرسول الله ﷺ كان هادئًا حكيمًا، لم يتأثَّر بالجو الساخن الذي صنعه الحاضرون، بل طلب من الشاب أن يقترب ويجلس للحوار. وهكذا أيها المربي، فنصيحتنا لك ألّا تتأثَّر بآراء الناس في أبنائك، ولا تستجِبْ إنْ حاولوا إثارتك وإشعال غضبك، فالحِكمة ثم الحكمة ثم الحِكمة!

لم يبدأ رسول الله ﷺ بالنُّصح مباشرة، بل أمر الشاب أن يقترب منه أوَّلاً، فلمّا اقترب وجلس بدأ رسول الله ﷺ الحوار، وهذا ما يُسمَّى بـ(التهيئة النفسية). أيها المربي الفاضل، ابدأ مع المخطئ باللين والتقريب كي يشعر بالحب ويتقبّل منك النصيحة.

نرى أحيانًا بعض المعلمين، أو الآباء والأمهات، إنْ قال لابنه المخطئ: تعالَ هنا! فإن الابن ينتابه الرعب فيفرّ أو يتحجج بعُذر كي يتجنب الحوار؛ ذلك أنه يتوقَّع العُنف! أمَّا ذلك الشاب الذي دعاه رسول الله ﷺ أن يقترب فقد استجاب مباشرة؛ لأنه يشعر من رسول الله ﷺ بالأمان.

الحديث العقلي الجاف ليس مناسبًا في كل حالة؛ ولذلك لم يستعمله رسول الله ﷺ هنا، بل استعمل الحديث العاطفي (أَتُحِبُّهُ لأمك، أَفتُحبُّه لأختك، أَفتُحبُّه لابنتك، ولا الناس يحبونه،...)، وكان يمكن لرسول الله ﷺ أن يذكر آية من القرآن أو شيئًا من الحديث دليلاً على تحريم الزنا ويكون قد أفتاه، لكنّ رسول الله ﷺ رأى أن المشكلة عاطفية وينبغي أن يكون الحوار فيها عاطفيًّا. جرِّب أيها المربي الكريم أن تستعمل الأسلوب العاطفي مع أبنائك وبناتك، مثل: (هل ستحزن إن قال لك كما قلتَ له؟)، (هل تُحبِّين أن أخفي عنك أسراري كما تخفين عني أسرارك؟)، (سأكون أسعد إنسانة في الكون إنْ نجحتَ بمجموع كبير) ...

لَاحِظْ أنَّ رسول الله لّما دعا للشاب، بدأ بوضع يده على صدره، وهذه لمسة إنسانية جميلة، ومهارة عالية في التواصل، فلا تبخل أيها المربي الحنون على أبنائك بلمسات الأمان والحنان، جرِّب أن تضع يدك على صدر ابنك وأنت تدعو له، وستراه إنسانًا جديدًا.

---

[1] عبد الله بن سعيد آل يعن الله؛ حينما زُجِرَ مُريد الزنا؛ صفحة الأستاذ عبد الله بن سعيد آل يعن الله؛ موقع صيد الفوائد؛ بريدة؛ ٢٢ / ١٢ / ١٤٢٩هـ؛ http://www.saaid.net/

لَاحِظْ أن رسول الله استخدم أسلوب الإقناع، بقوله (أتحبه لأمك، أفتحبه لأختك، ...) فجعل رسول الله الشابَ يصل إلى النتيجة بنفسه، ويترك فعل (الزنا) مُقتنعًا بقُبحِهِ، وهنا تعلَّمنا أن التربية ليست تلقينًا: الكذب سيء والصدق جيد، بر الوالدين له ثواب وعقوق الوالدين عليه عقاب، ....!

هذه ليست هي الطريقة! بل اقنعْ أبناءك أيها المربي العزيز، واشرح لهم الأسباب، واضرب لهم الأمثلة؛ ليتصرَّفوا عن وعي واقتناع.

الدعاء! أبرزت هذه القصة أكثر من فائدة من فوائد الدعاء، فإضافةً إلى أن الله ﷻ استجاب دعاء رسول الله ﷺ، فإن الشاب لّما وجد رسول الله ﷺ يدعو له، شعر بأنه يحبُّه، ويقبلُه؛ فقبِلَ منه النصيحة. أيها المربي الكريم، لا تغفل عن الدعاء، في كل عقبَة تلقاها في سبيل التربية، فالله على كل شيء قدير. وتعمَّد أن تُسمِع أبنائك دعاءك لهم، ليستشعروا محبتك وحرصك عليهم، فيُصدِّقوا نصيحتك ويعملوا بها.

التربية بالثواب والعقاب

"إن إثابة المحسن على إحسانه، وعقاب المسيء على إساءته مبدأ إسلامي أصيل؛ لقول الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وقوله جلَّ مِن قائل: ﴿وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠].[1]"

فمن أساليب التربية التي تجدها، أيها المسلم، في ثقافتك الإسلامية، أسلوب (الثواب والعقاب).

ولِنفهمَ كلمتَي (الثواب) و(العقاب) رجعنا إلى أصلَيهما في (مُعجم اللغة العربية المُعاصر)، فوجدنا (الثواب) يعني: "جزاء يكون في الخير والشرِّ، إلا أنه في الخير أخصّ، أو أكثر استعمالاً، عكسه (عقاب). وفي القرآن الكريم: ﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

ووجدنا (العقاب) يعني: "جزاء فعل السُّوء، أو الجزاء بالشَّرِّ، عكسه (الثَّواب)، وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].[2]"

الترغيب والترهيب قبل الثواب والعقاب:

- لقد رأينا أن كلاً من الثواب والعقاب جزاء، إن كان جزاء بأمر محبوب فهو ثواب، وإن كان جزاء بأمر مكروه فهو عقاب، والجزاء لا يكون إلا بعد العمل.
- وعكس ذلك هو (الترغيب والترهيب)، فهما يسبقان العمل، وذلك بأن تُرغِّب ابنك في أن يعمل عملاً طيبًا، أو تُرهِّبهُ (تُخوِّفه) من أن يعمله، وللتوضيح نقدِّم مثالاً:
- الأب: إنْ حصلتَ على الميدالية الذهبية سأشتري لك حاسوبًا جديدًا. (ترغيب)

  بالفعل حصل الولد على الميدالية الذهبية فاشتريتَ له الحاسوب. (ثواب)
- إنْ اغتبتِ زميلاتك مرة أخرى فلن أشاركك الحوار. (ترهيب)

  بالفعل اغتابت البنت زميلاتها فقطعت الأم حوارها معها. (عقاب)
- ولماذا نوضِّح الفرق بين (الترغيب والترهيب) و(الثواب والعقاب) هنا؟

نوضح الفرق لنقول إنه ليس من الصحيح أن تفاجئوا أبناءكم، أيها المربون والمربيات الأعزاء، بالثواب والعقاب مباشرةً، بل يجب أن يسبق ذلك عملية ترغيب مستمرة ولحوحة في فعل الخير، وعملية ترهيب من فعل الشر كذلك.

يَحدُثُ أحيانًا أن ترى مشهدًا، أمًّا تصرخ في وجه ابنها وتضربه وهو يصيح: "ماذا فعلتُ أنا؟! ماذا فعلتُ؟!"، وقد تظنُّه الأم يدَّعي الجهل، لكنَّه قد يكون حقًّا لا يعرف ماذا فعل يجعله يستحق العقاب! أو قد يكون عارفًا ما فعل، ولكنَّه لا يرى فعلته تستحق هكذا عقابًا قاسيًا!

---

[1] محمد الناصر؛ الثواب والعقاب؛ تربية الأطفال في رحاب الإسلام؛ صيد الفوائد؛ www.saaid.net

[2] أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصر؛ عالم الكتب؛ القاهرة؛ ط١؛ ج١؛ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م؛ ص٣٣٤

وهذا الموقف حدث بالفعل في حياة رسول الله ﷺ، "فقد مرَّ (عبّاد بن شُرَحبيل) ﷺ يومًا على بُستان لرجل أنصاريّ، وكان (عبّاد) جائعًا جدًّا، فأخذ سُنبُلاً من البُستان فأكله، ووضع بعضه في ثوبه. فجاء صاحب البستان فرآه يأكل من بستانه فضربه، وأخذ ثوبه، فذهب (عبّاد) يشكو إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لصاحب البُستان: (**ما علَّمتَه إذ كان جاهِلاً! ولا أطعمتَه إذ كان جائعًا!**)، ثم أمر رسول الله ﷺ صاحب البستان أن يرد لـ(عباد) ثوبه، وأمر رسول الله ﷺ بوزن من الطعام هديةً لـ(عبّاد)." حديث صحيح

ومن هذه القصة نقتبس العديد من أنوار التربية المحمدية:

اختلاف ردة فعل المُربِّي باختلاف حال المُخطئ، فلأن (عباد بن شرحبيل) كان في جوع شديد، صارت معاقبته قسوة فوق قسوة الظروف، وكذلك ابنك أيها المُربِّي، انظر إلى حاله قبل أن تقضي عليه بعقاب.

نلاحظ أن (عباد بن شرحبيل) أكل من البستان، ولم يُفسد شجره، ولم يُتلف زرعه؛ ومن ثمَّ فإن الذي دفعه إلى الخطأ هو الحاجة، لا العدوان. تأمَّل أيها المربي الفاضل قبل أن تقضي على ابنك بالعقاب، هل أخطأ في لحظة ضعف وعن حُسن نية، أم أنه تعمَّد الضرر والإيذاء والعُدوان.

احترم رسول الله ﷺ أن (عباد بن شرحبيل) جاءه يشكو، وتعامل معه بسعة الصدر والتقدير، فلم يُحرجه ويقُل له (أنت المُخطئ، لا حقَّ لك في الشكوى...) بل استمع إلى شكواه، وأنصفه وأعطاه.

عليك أيها المربي الكريم أن تتغاضى عن بعض أخطاء ابنك إن جاءك شاكيًا باكيًا، وألّا تقابل شكواه بفظاظة، كي لا يتحوَّل إلى (أخذ حقه بذراعه)!

الفرق واضح جدًا بين تصرُّف صاحب البُستان وبين تصرف رسول الله ﷺ، فتعامُل صاحب البستان بالشِّدة لم يُصلح الخطأ، بل أغضب (عباد بن شرحبيل)، ودفعه إلى الشكوى إلى رسول الله ﷺ، ولولا حِكمة رسول الله ﷺ لتفاقمت المشكلة أكثر وأكثر... وهكذا نفعل- نحن المربين- في بعض الأحيان، نقرر بلا تروٍّ أن نعاقب أبناءنا، فيزيد غضبهم، وقد يُعاندون، وقد يشكو الابنُ أمَّه إلى أبيه، أو يشكو أباه إلى أمه... فتتفاقم المشكلة، وربما تحوَّلت إلى مُشادّة بين الزوجين!..ولو أننا من البداية عالجنا الأمر بالابتسامة والحِكمة والهدوء، لانتهت المشكلة في طرفة عين!

لا شكّ أن (عباد بن شرحبيل) كان يعلم أنه أخطأ أوَّلاً، قبل أن يُخطئ صاحب البستان، ومع ذلك لم يَخَفْ أن يذهب فيشكو إلى رسول الله ﷺ، وهو على يقين أنَّ رسول الله ﷺ سيردّ إليه اعتباره.

وحريٌّ بنا ـ أيها الإخوة المربون والأخوات المربيات ـ أن نتخذ رسول الله ﷺ في ذلك قدوة، وألّا نجعل خطأً صدر من الابن يُضَيِّع عليه حقًّا من حقوقه. فبعض المُعلّمين مثلاً (إذا جاءه ولد يشكو يقول: زميلي قال لي كذا، فيسأل المعلم: لماذا؟ فيقول الولد: لأني فعلتُ كذا، فيقول المعلم: ارجع إلى مكانك، كلاكما مخطئ).. وهذا ليس هو الأسلوب الأمثل في التربية، بل يجب أن يُعطى كل من الطالبَين حقَّه كما يحِق له أن يُعطَى.

(وجب علينا أيضًا أن نلتمس العُذر للمعلم نظرًا إلى ضيق وقت الحِصّة، فإنْ كان ممكنًا أن تخصص المدرسة وقتًا للقضاء بين طلابها لكان ذلك من أسمى وسائل التربية).

(ما علَّمتَه إذ كان جاهِلاً، ولا أطعمته إذ كان جائعًا)، في هذه المقولة يلوم رسول الله ﷺ- بأسلوبه الرقيق- صاحب البُستان، أنَّه كان عليه أن يُعامل (عبادًا) باللين والرفق، وأن يُعلِّمه أنَّ هذا البستان له صاحب، ولا

يجوز الأكل منه دون إذن، ... ونلاحظ هنا أن رسول الله ﷺ ركَّز على ما كان يجب أن يكون، لا على ما كان، أي أنه قال له (كان يجب أن تعلمه)، وما قال له (ما كان يجب أن تضربه)، وهذا مهم جدًا في التربية أيها المربون الكرام، فأحيانًا يُخطئ الابن خطأ فنظل نلومه وننهره ونزجره على ما فعل...، وينتهي الأمر وينصرف وهو لا يعرف ماذا كان يجب عليه أن يفعل إذن!!

كذلك في قول المصطفى "ما علَّمتَه إذ كان جاهِلاً، ولا أطعمته إذ كان جائعًا"، إرشاد إلى أن العقاب ينتفي بشيئين: الأول هو الخطأ عن جهل، والآخر هو الخطأ عن ضرورة. فأمسكوا أيديكم وألسنتكم عن العقاب أيها المربون الكرام إن كان الابن قد فعل الخطأ جاهلاً، أو كان مضطرًا أن يفعله.

أمر رسول الله ﷺ صاحب البستان أن يرد إلى (عباد بن شرحبيل) ثوبه، وفي هذا إشارة تربوية إلى أن المُربِّي يجب أن يتَّسِم بقوة الشخصية، فمع ضعف (عبّاد) وفقرِه، لم يسمح رسول الله ﷺ أن يُسلَب منه ثوبه ولا يُرَدّ. وكذلك أنت أيها المربي الكريم، يجب أن تكون حازمًا قويًّا فتأمر بإعادة الحق إلى صاحبه، ولا تكن كبعض المعلمين أو الوالدِين الذين يطلبون من الطَرف المُسالِم أن يتنازل عن حقه ويواسونه بقولهم (أنت العاقل.. أنت الكبير.. أنت الذي سيأخذ الثواب..)، وهم في الحقيقة عاجزون عن ردّ الحق إليه، أو يتجنَّبون وَجَعَ الدماغ ومماطلة الطرف الآخر المُزعِج!

في نهاية القصة أمر رسول الله ﷺ لـ(عباد بن شرحبيل) بعطاء، أهدى إليه وزنًا كبيرًا من الطعام، وهنا إشارة تربوية إلى أن صدور الخطأ من إنسان ليس مُبرِّرًا أن يُحرَم حاجته. مثلاً بعض المربين إذا اشتروا للابن لُعبة فكسرها، أو عصيرًا فسَكَبَهُ، يقولون: (لا نشتري لك غيره) والحق أنَّ عليهم أن يشتروا له مرة أخرى، ما كان الابن لم يُخطئ بسبب تعمُّد ولا إهمال.

كانت هذه أهم الإشارات التربوية المستوحاة من قصة رسول الله ﷺ مع (عباد بن شرحبيل) والتي سردناها هنا وحلَّلناها بغرض لفت الأنظار إلى أن العقاب ليس هو الخطوة الأولى في إصلاح الأبناء، بل يسبقه الترغيب والترهيب، وقد يُستغنى عنه بالنُّصح والتصويب.

متى يستحق الابن الثواب؟

- **إذا فعلَ شيئًا واجبًا عليه:** مثل أن يصل رَحِمَه، ينجح في اختباره، وذلك لأن الله ﷻ أخبرنا أنه يُثيب على الواجبات: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ، وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحديد٢٨]

- **إذا فعلَ شيئًا مُستحبًا غير واجب**: مثل أن تصوم البنت الاثنين والخميس، أن يرتِّب الأخ غرفة أخيه، ...وذلك لأن الله ﷻ أخبرنا أنه يُثيب على النوافل: ﴿**فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾ [البقرة١٨٤]
- **إذا ترك فعلاً قبيحًا**: مثل الطالب الذي لا يُشارك زملاءه المشاغبين في إغاظة المعلمين، أو البنت التي نَوَت أن تُفشي سِرًّا لصديقتها ثم تراجعت عن الفِكرة.

وذلك لأن الله ـ سبحانه ـ أخبرنا أنه يُثيب على ترك الرذائل: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات٤١،٤٠]

متى يستحق الابن العقاب؟

- **إذا فعلَ مُنكَرًا عن عَمْد**: مثل أن يرفع صوته على أحد والدَيه، أو أن يتعمَّد الكذب..

وذلك لأن الله تعالى أخبرنا أنه يُعاقب على فعل السوء: ﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا، وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ، مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ** ﴾ [يونس: ٢٧]

- **إذا تركَ واجبًا**: مثل أن يُهمل واجب المدرسة تكاسُلاً، أو أن يترك الصلاة عامدًا بعد سن التكليف، وذلك لأن الله سبحانه أخبرنا أنه يُعاقب على ترك الواجب: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: ٣٦]

كيف يُثيب المُربي المسلم أبناءه، وكيف يعاقبهم؟

لإثابة الأبناء مواصفات معينة، فليس كل ما قصدنا به الإثابة كان ثوابًا طيبًا، وليس كل ما قصدنا به العقاب كان عقابًا مُؤثِّرًا، إذن لكل من الثواب والعقاب مواصفات ينبغي الانتباه الجيد إليها..

وقبل أن نستعرضها، نريدك أوَّلاً أن تقيم أداءك، بأن تُجيب عن المواقف التالية؛ لتقف على نقاط القوة ونقاط الضعف من منظومتك في الثواب والعقاب، في تربيتك الإسلامية لابنك.

أولاً: كيف يثيبه؟

✓ أن يتنوع الثواب بين المادي والمعنوي:

لا تجعل ثوابك لأبنائك كله ماديًّا، مثل أن تُعطيهم مالاً، أو تشتري لهم ملابس، أو تشتري لهم طعامًا جاهزًا...فإنّ هذا يُصيبهم بداء الماديّة، أي أنهم ينشؤون على إرضاء الجسد والشهوات، وإهمال الروح

والجماليات.وكذلك لا تجعل ثوابك كله معنويًّا، مثل أن تمدحهم، أو تُعلّق لهم شهادة تقدير، فإن الإنسان بطبعه يُحبّ العطايا الماديّة ويفرح بها ويتشجَّع على المزيد من الإحسان... لذلك عليك التنويع بين الثوابَين المادي والمعنوي؛ فلكل منهما أثره في تحفيز الأبناء.

هذا التنويع استقيناه من تربيتنا الإسلامية، فلقد جمع الله سبحانه وتعالى في جنة الخُلد التي أعدَّها جزاءً لأحبابه بين الثوابين المادي والمعنوي: فمن الثواب المادي أنه ـ سبحانه ـ ينعم عليهم باللذائذ من الطعام والشراب والزوجات، حيث قال: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ، لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ، وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الواقعة ١٧:٢٤]ومن النعيم المعنوي أن الله يجمع الأبناء بالآباء في الدرجة نفسها من الجنة؛ إكرامًا للآباء وإسعادًا لهم بصُحبة أبنائهم الذين اعتادوا صحبتهم في الدنيا: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ، كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ [الطور:٢١]

✓ أن يكون مُكافِئًا للعمل:

ينظر المُربِّي إلى العمل الجيد الذي أدَّاه الابن، فيُقيِّمه، ويُقيِّم الظروف التي أُدِّيَ فيها، ثم يُقيِّم له ثوابًا يُناسبه. دون مبالغة، ولا إجحاف.

نرى في بعض الأحيان طالبًا يُجيب إجابة عاديّة، فيقول المعلم: (ممتاز! رائع! أنت نابغة! صفِّقوا له جميعًا!) ربما لأن المعلم يحب ذلك التلميذ خاصّةً، أو قد يظن أنه هكذا يُشجِّعه،.. ولكن هذا السلوك الذي سلكه المعلم له أضرار أيضًا، فمثلاً يجعل الطلاب الآخرين يحقدون على زميلهم لأنَّ كثيرًا منهم كان يعرف الجواب مثله، وكذلك يجعل الطالب نفسه يشعر بالإحباط إذا أجاب بعد ذلك إجابة ذكيّة ولم يلقَ نفس الثواب من المعلم!

وعلى الجانب الآخر، لا ينبغي أن يكون الثواب أقلّ درجةً من العمل، نجد أحيانًا بعض الآباء يشجِّع ابنه فيقول: (إنْ حصلت على مجموع فوق ٩٥٪ سأحجز لكم مصيفًا في عُطلة الصيف)، ثم إذا اجتهد الابن طوال العام وحصل على ذلك المجموع، يجد الأب نفسه مشغولاً لا يستطيع السفر، فيكتفي بشراء كعكة، هديةَ النجاح!

وهذا المبدأ، مبدأ التكافؤ في الثواب، استقيناه من الهدي الرباني في إسكان المؤمنين درجات من الجنة، كُلٌّ تتحدد درجته بحسَب عمله، قال الله ﷻ: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا، وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٩]

ولا ننسى أن نلتفت هنا إلى كون الثواب أكبر من العمل خير من كون العمل أكبر من الثواب، وذلك بأن يتفضَّل المربي على ابنه بمزيد من العطاء، عملاً بقوله ﷻ: ﴿**وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ، إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة:٢٣٧]

✓ الثواب هو ما يُحبّه هو، لا ما تُحبّه أنت:

هناك خطأ يقع فيه كثير من المربين بحُسن نية، ذلك أن المربي إذا أراد أن يُكافئ ابنه بثواب فإنه يشتري له كتابًا لأن المربي نفسه يحب القراءة، أو يشتري له قميصًا لونه بُنيّ لأن المربي نفسه يحب اللون البني، أو غير ذلك مما قد لا يُدخل السعادة الحقيقية على الابن! إذن عليك أيها المُربِّي الكريم أن تفهم نفسية ابنك، وأن تُفكِّر فيما يروق للابن نفسه، لا ما يروق لك أنت. ويمكنك أن تُخيِّره بين عدد من الأشياء.

وكيف لا وهذا هو المنهج الرباني في الإثابة! فرب العالمين ﷻ يُثيب أهل الجنة بما يشتهون وما يطلبون، يقول الله: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ [فصلت:٣١]

✓ ما لا يُدرَك كله لا يُترَك كله

هذه الحِكمة قاعدة عامة، فإنْ لم تستطع أن تفعل كل شيء، فلا تترك كل شيء أيضًا، افعل منه ما تستطيع وإنْ كان قليلاً. فإنْ أردتَ أن تُثيب ابنك إثابةً كبيرة ولم تستطع، فلا تترك الإثابة بالمرّة، بل قدِّم إليه ما يتسنَّى لك من الثواب.

ونرى هذا في السنة النبوية الشريفة، فقد جاء في الحديث الصحيح: أن امرأة زارت السيدة (عائشة) -رضي الله عنها- ومعها ابنتاها، فلم تجد السيدة (عائشة) في البيت من طعام الضيافة إلا تمرة واحدة، فلم تستحِ من ذلك، بل قدَّمتْها للمرأة، فقسمت المرأة التمرة نصفين وأعطت لكل واحدة من بنتَيها نصفًا.

ثانيًا: كيف يُعاقبه؟

كما أن للثواب آدابًا، فإن للعقاب آدابًا، نعرضها هنا كي يكون العقاب فعَّالاً في عملية التربية، على الشرط الإسلامي:

أن يتنوع العقاب بين المادي والمعنوي

حينما نقول له : (سأحرمك من المصروف)!

هذه العبارة التي يرددها بعض المربين إذا أرادوا معاقبة أبنائهم، صنعتْ جيلاً ماديًّا! لا يأسف إلا على فَقْدِ المال، أمّا إن فَقَدَ كرامته أو فَقَدَ صاحبه أو فَقَدَ ثقة ناسٍ فيه... فربما لا تتأثَّر نفسيته بذلك!

لذا فعل المربي أن يُنوِّع بين العقاب المادي (كالحرمان من جزء من المصروف) وبين العقاب المعنوي (كالتوبيخ)، كي يصنع من ابنه إنسانًا متوازنًا.

ونُنبِّه هنا إلى أنه في حالتَي العقاب، المادي أو المعنوي، يُنظَر إلى سِن الابن، "فالعقـاب يجب أن يتناسب مع العمر ، إذ ليس من العدل عقاب الطـفـل فـي السنة الأولـى أو الـثانية من عمره. فتقطيب الوجه يكفي مع هذه السن، إذ أن الطفل لا يدرك معنى العـقـاب بعدُ . وفي السنة الثالثة قد تؤخذ بعض ألعاب الطفل لقاءَ ما أتى من عملٍ شاذ.[1]"

إذن العقاب في الإسلام مادي أو معنويّ، فمثلاً من العقاب الماديّ اتفاق الأئمة الأربعة على إسقاط ﷺميراث القاتل من المقتول، فلا يرث منه شيئًا، ومن العقاب المعنوي قصة الصحابة الثلاثة: (كعب بن مالك الأنصاري)، و(هلال بن أُميَّة)، و(مُرَارة بن الربيع) ﷺ، عندما تخلَّفوا عن غزوة تبوك، فلم يخرجوا مع المسلمين للجهاد، ففرض الله ﷻ على المسلمين ألا يُكلِّموهم، حتى إذا صاروا في همّ وحُزن وتأخَّرت توبة الله عليهم، عفا الله عنهم، إن الله تواب رحيم. هكذا جاءت قصتهم في سورة التوبة: ﴿**وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ، وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ، إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة١١٨]

أن يكون مُكافِئًا للعمل

ليحذر المربون من العقاب القاسي أو الشديد، فهو كما يكسر نفسية الأبناء، ويضر بشخصيتهم، فهو كذلك يُتعِب المُربِّين أنفسهم؛ حيث إن شدة العقاب تؤدي- مع مرور الوقت- إلى تبلُّد مشاعر الأبناء، فمهما أنزل المربي بهم من عقاب بعد ذلك فلن يتأثَّروا! والأفضل أن يكون العقاب متوسِّطًا معقولاً، دون مُبالغة ولا تهاوُن، دون استثقال ولا استخفاف.

ومن هذا الباب أيضًا ألّا تُساوي بين الأبناء جميعًا في عقوبة واحدة إذا تفاوتت أخطاؤهم. نجد بعض المعلمين يُنزل بطلاب الفصل عِقابًا جَماعيًّا، المذنب منهم مثل البريء! المذنب ذنبًا كبيرًا مثل المذنب ذنبًا صغيرًا! وهذا ولا شك هو الظُلم.

جاء في سيرة (ابن هشام): " أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم (غزوة بدر) :"**إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهًا، لا حاجةَ لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتلْه ، ومن**

[1] محمد الناصر؛ الثواب والعقاب؛ تربية الأطفال في رحاب الإسلام؛ صيد الفوائد؛ www.saaid.net

لقي (أبا البختري بن هشام) فلا يقتلْه ، ومن لقي (العباس بن عبد المطلب) عم رسول الله فلا يقتلْه، فإنه إنَّما أُخرِج مُستكرَهًا[1]."

فنرى أن قريشًا خرجت في جيش واحد لمقاتلة النبي ﷺ وأصحابه، ورغم ذلك لم يُسوِّ رسول الله ﷺ بينهم في العقاب، فأطلق أيدي المسلمين على بعضهم دون البعض الآخر؛ ذلك أنَّ بعضهم اجتمع عنده جُرم الخروج وجُرم عداوة المسلمين، وبعضهم خرج بالإكراه وهو ليس راغبًا في إيذاء محمد وصحبه.

العقاب هو ما يكرهه هو، لا ما تكرهه أنت

(دخلت إحدى المعلمات الفصلَ فوجدت الطلاب في فوضى، فوقفت لحظات لينتبهوا، فلم ينتبهوا، طال وقوفها ليستحوا، فلم يستحوا، فاتخذت القرار بالعقاب، فأقسَمَتْ ألّا تشرح الدرس، فقالوا في أنفسهم: الحمد لله!) يجب أن يُبنَى العقاب على فهم لنفسية الأبناء، فالمعلمة التي تعاقب طلابها بأن تمتنع عن الشرح تظن أنها تحرمهم من العلم، لكنها في الواقع لا تُعاقب إلا الطلاب المجتهدين في الفصل، بينما الفئة المُشاغبة- المقصودة أصلاً بالعقاب- فلقد وصل إليهم العقاب ثوابًا.

وإذا نظرنا في القرآن الكريم، رأينا الحكمة في عقاب الله ﷻ لنبيه آدم عليه السلام، ورأينا كم أن العقاب مناسب في موضعه! نسمع القصة من رب العالمين يقول : ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾ [طه:١٢٠]، وبما أن آدم أطاع وسوسة الشيطان، فأكل من الشجرة حُبًّا في الخلود والمُلك، كان العقاب المناسب أن يُسلَب ذلك الخُلود والمُلك الذي فُتِنَ به، وأن يهبط إلى الأرض يعيش معيشة العبد، ويأتيه الموت إذا أذِنَ الله بذلك: ﴿**قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ [الأعراف:٢٤]

إظهار نيّة الإصلاح بوضوح

الانتقام، الإيلام، الكراهية... كل هذه المشاعر لا يُعقَل أن تكون وراء العقاب الأَبَوي، عقاب المربي لابنه، فلا شك لدينا أنه لا نيةَ من العقاب سوى الإصلاح.

ولكن لصغر سن بعض الأبناء وقلة خبرتهم، يُخيَّل إليهم أن العقاب يدل على أن أبي يكرهني، أو أمي تريدني أن أتألم، أو معلِّمي ينتقم مني، ... ولهذا التخيُّل خطر كبير جدًّا على نفسية الأبناء، وعلى علاقتهم

---

[1] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري؛ السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)؛ غزوة بدر الكبرى؛ دار ابن حزم؛ بيروت-لبنان؛ ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م؛ ط٢؛ ص٦٩٩

المستقبلية مع المربين، فيترك رواسب نفسية سيئة قد تستمر طوال الحياة؛ ولذلك ينبغي على المربي أن يكون صريحًا واضحًا، فيقول لابنه: (أنا أعاقبك لأنني أحبك، وأريدك أن تتغير إلى الأحسن، وأرجو بشدة أن تتغير إلى الأحسن من نفسك دون عقاب منِّي، فلا تضطرني أن أعاقبك وأنا كاره).

وهكذا جاءت الآيات القرآنية صريحة واضحة، بأن العقاب الإلهي ينزل ليرجع الظالم عن ظلمه وليتوب المُسيء: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، وكذلك قوله: ﴿وبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف١٦٨]،...ويغضب الله من عدم استجابتهم للعقاب بالتوبة والرجوع إلى الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون٧٦]

ومن هنا عليك أيها المربي أن تجعل عقابك مفيدًا، مثل أن تفرض على ابنك أن يفعل شيئًا ينفعه، لكنّه ليس سهلاً، بل ثقيل على النفس.

أثر الثواب والعقاب على التربية الإسلامية :

من المؤكد أن للثواب والعقاب دور أساسيّ في نجاح التربية، فكما قلنا، بعد التعليم والتأديب، والترغيب والترهيب، يأتي الثواب والعقاب بمثابة تقييم لحُسن استجابة الأبناء. إن الابن الذي يُثاب إذا أحسن، ويُعاقَب إذا أساء، ينمو قادرًا على التمييز بين الخطأ والصواب، والجيد والرديء، بخلاف الابن الذي لا يُثاب ولا يُعاقب، فإنه يفتقد مهارة الحُكم على الموضوعات؛ لأنّها متشابهة، ولأنَّ أيًّا منها لم يرتبط عنده بخبرة طيبة ولا سيئة.

يؤدي الثواب إلى ثبوت عادات الابن الحسنة، فمثلاً في قصة تخلُّف الصحابي (كعب بن مالك الأنصاري) ﷺ عن غزوة تبوك، برَّرَ كثير من المتخلفين الآخرين غيابهم بأعذار، بينما هو اعترف بخطئه، وقال الصدق بأنه لا عُذر له، فلمَّا تاب الله ﷻ عليه وعفا عنه، عاهد الله ألا يقول إلا الصدق مدى حياته.

يؤدي العقاب إلى إحياء ضمير الابن، فيقف وقفة لمراجعة النفس، والتأمل في قُبح الفعل. مثل العقاب الذي أنزله الله ﷻ بنبيه (يونس) عليه السلام ، فقد ترك قومَه دون أمر من الله لّما جاءه- عليه السلام- الحُكم الإلهي أن قومه هالكون، ولم يظن أن هناك بأسًا في ذلك، فلما ابتلعه الحوت: ﴿ **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء٨٧]

الابن الذي يُثاب ويُعاقب يتعلَّم التواضع للمربي، والتواضع مهم جدًّا في نجاح التربية، فينبغي أن يكون الابن مؤدَّبًا وقورًا أمام المعلم، أو الوالدَين، وأن ينظر إليهم نظرة احترام وإجلال، وأن يُلقي إليهم زمام أمر التعليم كله، ويُذعِن لنصيحتهم إذعان المريض الجاهل للطبيب المُشفِق الحاذق.[1]

يلعب كل من الثواب والعقاب دورًا في تكوين شخصية الابن القوية، فلأنه بطبيعته يخرج إلى الحياة ليُمارس ما فعله أبواه ومعلموه، مُقلِّدًا إياهم، فإنه يغدو قادرًا على مكافئة من يُسدي معروفًا، وردع من يعيث في الأرض فسادًا.

[1] أبو حامد الغزالي؛ أيها الولد؛ تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي؛ دار البشائر الإسلامية؛ بيروت- لبنان؛ ط٤؛ ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م؛ ص٥٠

إذا كنا قد بدأنا فقلنا (مرحبًا بالتربية الإسلامية) فلا بد وأن ننتهي فنقول (وداعًا يا مشكلات)!وداعًا يا مشكلات العقوق، والتأخر الدراسي، والانحراف...ومرحبًا يا بشائر الطاعة، والتفوق،والاستقامة...

فالتربية الإسلامية التي أنتجت أجيالاً من الصالحين والنابغين، ها هي إلينا تعود؛ لتنتج أجيالاً ذهبية من جديد، فنرى أبناءنا، فلذات أكبادنا، يؤمنون بالدين، ويملكون الدنيا، ويعملون للآخرة.

إن فرادة تربيتنا الإسلامية تجعلها تتفوق على نُظُم التربية الأخرى كلها، ذلك أن تربيتنا تربية إيمانية، جعلت الرحمة عنوانًا لها، وجعلت التوكُّل على الله ﷻ وقودًا للنجاح... تربيتنا الإسلامية العظيمة هي المصدر للأمان والطمأنينة، وهي الدافع إلى المُبادرة والإيجابية، وهي بوابة الانفتاح والانطلاق إلى المجتمع، ثم إلى العالم.. تربيتنا الإسلامية هي النظارة التي نرى بها الواقع أوضح وأقرب، ودونها نتيه في الظلمات!

نُبحر في محيطات التربية الإسلامية، فلا نعدِم لنا حاجة، إن أردنا أن نعظ علَّمتْنا كيف يكون الوعظ، وإن أردنا أن نُحاور دلَّتنا كيف يكون الحوار، وإن أردنا أن نؤثِّر ونُغيِّر جعلتْ منَّا قُدوة تُقتفَى، وأسوة تُحتذَى. إن أردنا لأبنائنا الاعتبار أمدَّتنا بأجمل القصص والفوائد، وإن أردنا لهم الادِّكار وضعتْ لنا المبادئ والقواعد.. وبعد هذا كله لا تغادر التربية الإسلامية حتى تهدينا متى وكيف يكون الثواب إذا أثبنا، والعقاب إذا عاقبنا. مرحبًا بالتربية الإسلامية في بيوتنا من جديد، منها نستخرج مفتاحًا لكل باب، ويأتينا لكل مُعضلةٍ جواب، فنقول.. وداعًا يا مشكلات!

قائمة المراجع:

- أبو حامد الغزالي؛ أيها الولد؛ تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي؛ دار البشائر الإسلامية؛ بيروت- لبنان؛ ط٤؛ ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
- أمين دويدار؛ صور من حياة الرسول؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ ١٩٨٧م؛ ج٣؛ ص٤٦٥

- عبد الرحمن النحلاوي؛ أصول التربية الإسلامية وأساليبها: في البيت والمدرسة والمجتمع؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط٢٨؛ ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
- فوزية رضا أمين خياط؛ الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية؛ مكتبة المنار؛ مكة المكرمة؛ ط١؛ ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م
- هناء بنت هاشم الجفري؛ بحث لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية بعنوان: التربية بالقصة في الإسلام وتطبيقاتها في رياض الأطفال؛ إشراف د. أميرة طه بخش؛ كلية التربية؛ جامعة أم القرى؛ المملكة العربية السعودية؛ ١٤٢٩هـ.
- علي القائمي؛ تربية الطفل دينيًا وأخلاقيًّا؛ ترجمة: البيان للترجمة؛ مكتبة فخراوي؛ البحرين- المنامة؛ ط١؛ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م
- أحمد شوقي؛ أسواق الذهب؛ الدار العالمية للنشر والتوزيع بالإسكندرية؛ ط١؛ ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- أحمد مختار عمر؛ معجم اللغة العربية المعاصر؛ عالم الكتب؛ القاهرة؛ ط١؛ ج١؛ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري؛ السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)؛ غزوة بدر الكبرى؛ دار ابن حزم؛ بيروت-لبنان؛ ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م؛ ط٢
- محمد علي عزب؛ الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية؛ دراسات تربوية ونفسية؛ مجلة كلية التربية بالزقازيق؛ العدد ٦٧؛ أبريل ٢٠١٠
- منصور بن محمد الشريدة؛ بر الوالدين عند السلف الصالح؛ منوعات؛ موقع صَيد الفوائد؛ www.saaid.net
- الدكتور علي بن عبده الألمعي؛ مدير عام التخطيط والسياسات بوزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية؛ موقع منبر التربية www.minbr.com
- عبد الله بن سعيد آل يعن الله؛ حينما زُجِرَ مُريد الزنا؛ صفحة الأستاذ عبد الله بن سعيد آل يعن الله؛ موقع صيد الفوائد؛ بريدة؛ ٢٢ / ١٢ / ١٤٢٩هـ؛ http://www.saaid.net/
- محمد الناصر؛ الثواب والعقاب؛ تربية الأطفال في رحاب الإسلام؛ صيد الفوائد؛saaid.net.
- الحديث وعلومه؛ موقع الإسلام سؤال وجواب؛ www.islamqa.com
- عبد الله بن إبراهيم القرعاوي؛ شرح تعريف الإسلام؛ المقالات؛ موقع دار الإسلام؛ www.islamhouse.co